دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

مع الروح القدس

في جهادنا اليومي

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

مع الروح القدس
في جهــــادنا اليومي

Synergy (*)

(*) Synergy كلمة يونانية الأصل معناها «وحدة العمل» وقد صارت اصطلاحاً لاهوتياً عميقاً يشرح التعليم الأرثوذكسي في كيفية اتفاق النعمة مع الجهد البشري في كل عمل صالح.

للأب متى المسكين

كتاب: **مع الروح القدس في جهادنا اليومي.**
المؤلف: **الأب متى المسكين.**
الطبعة الأولى: **١٩٧٥.**
الطبعة الثانية: **١٩٨٦.**
الطبعة الثالثة: **١٩٩٥.**
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.
ص. ب ٢٧٨٠ - القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨٦/٣٧٦٩
رقم الإيداع الدولي: ٥ - ٠٤٦ - ٤٤٨ - ٩٧٧

المحتويات

١ ـــ الروح القدس والتدرج من حياة الخطية إلى حياة القداسة ٥
٢ ـــ الروح القدس وجهادنا المتواصل ضد الخطيئة ١٣
٣ ـــ الروح القدس والأعمال الصالحة ١٨
٤ ـــ الروح القدس وإنكار الذات ٢٤
٥ ـــ الروح القدس وانسكاب المحبة ٢٨
٦ ـــ «لا تحزنوا روح الله القدوس، الذي به خُتمتُم ليوم الفداء»
و«لا تطفئوا الروح» ٣٢

(١)
الروح القدس
والتدرج من حياة الخطية إلى حياة القداسة

الروح القدس لا يعمل في السطح ولا من الظاهر، إنه يعمل في الداخل وفي الخفاء جداً.

لذلك إذا أردنا أن نتتبع عمل الروح القدس في حياتنا، يلزمنا أن نتعمق كل شيء، نتعمق فكرنا، نتعمق ضميرنا، نتعمق دوافع سلوكنا، نتعمق رغباتنا وشهواتنا الطيب منها والرديء، نتعمق صلواتنا وصومنا ودموعنا، نتعمق خدمتنا، وأخيراً نتعمق حبنا لله والناس.

لأنه من هذا العمق نتواجه مع فكر الروح القدس ومطالبه وأهدافه فينا.

والتعمق دائماً يتطلب جهداً، فإذا أهملنا التعمق بسبب صعوبة الجهد المبذول، فإننا ننطرح على السطح ونعيش في مظاهر الأقوال والأعمال فلا نتواجه مع الروح القدس.

أما لماذا لا يعمل الروح القدس إلا في الأعماق، فذلك راجع إلى طبيعة الإنسان، لأن الدوافع والأسباب والغايات الحقيقية التي تحرك الإنسان أو التي يتحرك الإنسان بمقتضاها لا تعمل ولا توجد إلا في أعماقه. أما على السطح فلا توجد ولا تعمل إلا الدوافع المزيفة التي تحركها وتتحكم فيها التقاليد الإجتماعية والتأثيرات البيئية والتربوية وإيحاءات الغير.

حينما يبدأ الروح القدس عمله في أعماق الإنسان، يبدأ الإنسان يكتشف مفاعيل الروح القدس الأولية على هيئة صراع داخل الفكر والضمير والأعضاء، صراع بين «روح الحياة في المسيح يسوع» ــ أي روح الحق والقداسة والبر والتعفف ــ ضد روح الباطل والنجاسة وخداع الشهوة.

هنا الصراع يبدو مُرًّا وغير محتمل على ضمير الإنسان وفكره، بسبب إمكانية السقوط في الشر مع وجود روح القداسة في ذات الوقت، حيث يبلغ التأنيب أوجه «لأني لست أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل... فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل **الخطية الساكنة فيَّ**، فإني أعلم أنه ليس ساكن فيَّ ــ أي في جسدي ــ شيء صالح. لأن **الإرادة** حاضرة عندي، وأما أن **أفعل** الحسنى فلست أجد. لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل» (رو٧: ١١ــ ٢٠).

أما النتيجة الحتمية التي يبتغيها الروح القدس في هذه المرحلة فهي بغضة الخطيئة جداً. وبقدر ما يزداد وجود الروح القدس يزداد تبكيته لسلوك الإنسان، فيزداد الإنسان بغضة لحياة الشر والخطيئة جداً.

هنا يكون الإنسان منحازاً إلى الروح القدس بضميره أو بقلبه، الذي أسماه بولس الرسول «فكر» أو «عقل» أو «ذهن». (وهذا الإلتباس ناتج من تغيير حدث على مدى العصور في معنى الكلمة νοῦς)، حيث التوبة في عرف لغة الإنجيل هي تغيير يتم في العقل μετά-νοια ، كذلك أيضاً فإن عمل الروح القدس لتجديد الإنسان يتم في الذهن أيضاً «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» تغيروا عن شكلكم = μετα-μόρφωσις أي تغير من طور إلى طور، ذهن = νοῦς

ولكن لشدة الأسف بينما يكون الإنسان منحازاً للروح القدس بقلبه يكون جسده منحازاً للخطيئة «لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون» (غل٥: ١٧)، وذلك بسبب امتداد غير سوي لسلطان الغريزة والعادة الذي يحتاج إلى بعض الوقت ليخضع وينضبط لسلطان الضمير والقلب بالروح القدس. علماً بأن الخطيئة تستغل دائماً الغريزة الطبيعية في الإنسان لتنحرف بها دون المطالب الطبيعية.

فإن كانت الخطيئة تجد لها في غرائز وشهوات جسد الإنسان قاعدة تختبىء فيها

وتعمل من خلالها، فإن الروح القدس يجد له في قلب الإنسان (أو عقله وضميره) قاعدة يسكن فيها ليبدأ عمله ضد عنصر الشر المتسلط على جسد الإنسان «اسلكوا بالروح فلا تكمّلوا شهوة الجسد» (غل ٥ : ١٦)، حيث يبدأ التغير والتجديد في الذهن، وهذا أسهل نوعاً ما.

وهذا يوضحه بولس الرسول عندما يشرح حالة الإنسان وهو تحت فاعلية الروح القدس في بداية صراعه ضد الخطية:

ـــ «فإني أُسَرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن، ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني و يسبيني إلى ناموس الخطيئة الكائن في أعضائي. ويحي أنا الإنسان الشقي، من ينقذني من جسد هذا الموت. أشكر الله بيسوع المسيح ربنا. إذاً أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية» (رو٧ : ٢٢ـــ٢٥).

ولكن إذا انحاز العقل والضمير للشر نهائياً ورفض بإصرار قبول الروح القدس أو الوقوف بجانب مشورته، يتوقف إيحاء الخير، و ينعدم بذلك الصراع بين الخير والشر، و يقف بالتالي التبكيت، و يتخلى الله عن الإنسان، و يسلمه للعدو «وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق» (رو١ : ٢٨).

وهنا يصبح الذهن «**ذهناً مرفوضاً**» يفعل كل ما لا يليق بلا مانع و بلا أقل تأنيب!!

بل و يُسر الذهن المرفوض بالذين يفعلون الشر (رو١ : ٣٢)، حيث يصبح الذهن هنا فاقداً للنور الإلهي، تابعاً للجسد ومتوافقاً معه، و يسميه بولس الرسول «ذهناً جسدياً»: «متداخلاً في ما لم ينظره منتفخاً باطلاً من قبل **ذهنه الجسدي**» (كو٢ : ١٨).

وهذا الإنقلاب الخطير الشامل إنما يبدأ بهجمات الشيطان المتعددة لتشكيك الذهن في ما هو خير وصالح، و يضغط على الإرادة حتى يكسر حاجز المقاومة حيث يبتدىء الإنسان يستسلم إلى مالانهاية.

أما إذا ساد الروح القدس على الذهن وقَبِلَ الإنسان تبكيت الروح القدس واستجاب له بالفعل، فإنه يصبح شيئاً فشيئاً ذهناً روحياً. ويمتد أثر الروح القدس من العقل النشيط المتجدد ليشمل كل ملكات الإنسان العليا فيسمّى «إنساناً روحياً»، حيث يصبح ناموس الذهن ــ أي القانون الذي يسلك بمقتضاه ــ هو نفسه ناموس الروح القدس!! و يعبر عن ذلك بولس الرسول هكذا: «أُسرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن،... وبذهني أخدم ناموس الله» (رو٧: ٢٢، ٢٥).

ونلخص درجات عمل الروح القدس هكذا:

(أ) بدون عمل الروح القدس يشرب الإنسان الخطيئة كالماء دون أي صراع أو نزاع أو إحساس باللوم أو الندم. إذ يكون مقياس الصلاح (الوصية) والهاتف الداعي إليه غير موجود.

(ب) يبدأ الروح القدس عمله بطرح الوصية أمام ذهن الإنسان كمقياس إلهي وكرسول يطالب بحق الله!! فيبدأ في الحال الصراع بين الذهن القابل لهاتف الصلاح وبين الخطيئة الرابضة في الأعضاء كالحية يحركها الشيطان و يتحرك بها. حيث الصراع هنا يتم داخل الإنسان بين الذهن (أو العقل أو القلب أو الضمير) وبين الجسد. حيث يستريح في الذهن ناموس «**روح الحياة في المسيح يسوع**» كما يستريح في الجسد ناموس «**الخطيئة والموت**».

(جـ) يزداد عمل الروح القدس بمقدار قبول الذهن له وطاعته لمشورته حيث تزداد حدة الصراع، ولكن كلما ازداد الصراع كان ذلك برهاناً أو مقياساً لفاعلية الروح القدس المتزايدة حيث يكون هدف الروح هو الوصول إلى القناعة الأكيدة بشناعة الخطية.

(د) إذا بلغ الذهن إلى القناعة الكلية بشناعة الخطية وخطرها الأكيد، يكون هذا معناه أن الذهن انحاز لناموس الروح القدس، وهذا بذاته هو حالة تقديس للذهن.

(هـ) تقديس الذهن لا يبقى بدون عمل؛ إذ بمجرد أن يتحرر الذهن من ناموس الخطية و يتقدس بالروح القدس، ترتفع القدرة القتالية للإرادة بيقين المعرفة الصالحة للذهن لمواجهة الخطية الرابضة في الجسد والمتحركة بفعل الشهوة التي يلهبها الشيطان

بنوع من الخداع والتهويل الكاذب.

(و) بدء غلبة الإرادة على حركة الخطية وإيحاءاتها الشهوانية المخادعة، هو هو بدء حياة البر أو التقوى أو القداسة.

(ز) هذا الصراع القائم في أساسه بين ناموس الروح القدس في الذهن و بين ناموس الخطية والموت في الجسد لا يكفُّ ولا ينتهي قط طالما الجسد ينبض بالحياة، بل هو دائماً أبداً على أعلى مستوى من **الإستعداد للتأجج** في الإنسان الذي يجاهد في السيرة المقدسة، تارة يرتفع إلى أقصى درجة من الحرارة حيث يرتفع الذهن إلى أعلى درجة من القداسة، وتارة يهدأ عندما تسود النعمة وتملك فتحل محل الصراع إلى حين.

(ح) ولكن مجرد القناعة الذهنية بشناعة الخطية وضررها المفسد والمهلك لا يبرر الإنسان، ولكن يبرره الله وحده. حيث يتضح أن الله هو وحده القدوس! ولكن معلوم أن بر المسيح نضح علينا، فالمسيح برر الخطاة بسفك دمه الكفاري!

إذن، فالوصول إلى قناعة الذهن بشناعة الخطية والإيقان ببر المسيح وتبريره هو بحد ذاته منفذ عملي للدخول في حياة البر أو حياة القداسة.

والآن نشرح هذا بمعنى آخر:

(ط) إن موت المسيح الكفاري بسفك دمه عن الخطاة دان الخطية وأنهى على سلطانها القتال للناس! إذن فالوصول إلى القناعة الذهنية بشناعة الخطية و بالتالي رفضها ذهنياً هو هو الخروج العملي من تحت دينونتها الرهيبة، وهذا إنما يكون حتماً من فعل الروح القدس ودم المسيح: «**لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت!!**» (رو٨: ٢).

(ي) إذن، فازدياد الذهن والضمير إحساساً بالخطيئة و بفعلها المدمر لحياة الإنسان وخلاصه، حتى ولو لم يكن الإنسان قد بدأ في حياة القداسة كما ينبغي، هذا لا يجب أن يوصلنا إلى يأس، لأنه في الواقع لا يوصلنا إلى الوقوع تحت دينونة الخطية بل بالعكس فهو يخرجنا من تحت دينونة الخطيئة!! لأن جحد الخطيئة والشيطان في الذهن وفي الضمير عن صدق وقناعة كاملة هو بحد ذاته فعل من أفعال الروح القدس وهو ناتج

أصلاً من فعل تبرير المسيح للخطاة بدمه، وبدينونته للخطية والشيطان على الصليب. وهذا ما يفعله المعمَّد قبل أن يبدأ حياة الإيمان المسيحي العملي.

إذن فكل مرة نجحد فيها الخطيئة والشيطان في الذهن، أي في القلب، عن صدق وإخلاص وقناعة روحية كاملة، هذا بحد ذاته تمسُّكٌ ببر المسيح وإعلان إيمان صحيح، وهو كفيل أن يهييء لنا بداية جديدة لحياة القداسة ودفعاً جديداً لممارسة القداسة عملياً!...

(ك) ولكن بدون حياة القداسة، أي بدون الإنتقال من القناعة الذهنية بشناعة الخطية إلى قتال الإرادة الفعلي ضد الخطيئة العاملة في الجسد بالأهواء وغرور الشهوات، يبقى بر المسيح بلا ثمرة فينا، ولا يكون له في حياتنا شهادة، بل يبقى مجرد وثيقة في يدنا قابلة للصرف، ولكن لم تُصرف بعد للإنتفاع بها.

لأنه لا يمكن أن يُستعلن بر المسيح في الذهن فقط، إذ يتحتم أن ينتقل إلى حياة القداسة وغلبة الخطية أولاً بأول. كما أنه يستحيل أن يوجد خلاص في حياة الخطية.

(ل) لذلك فإن عمل الروح القدس في الإنسان الذي يظهر كصراع ذهني ضد ناموس الخطية الرابض في الأعضاء يتحتم أن يزداد ويزداد ويزداد حتى ينتقل الذهن من القناعة بشناعة الخطية (التي هي حالة قداسة فكرية) إلى إشعال الإرادة نفسها بالقداسة بالفعل. وهكذا تنتقل القداسة من الذهن إلى الإرادة الفعلية، وبالتالي إلى الجسد فيسود الروح القدس على الإنسان كما في الذهن كذلك في الجسد والأعضاء جميعاً.

(م) وهكذا يظل بر المسيح متعلقاً أساساً بتخلُّصنا من ناموس الخطية العامل في الأعضاء!

(ن) هنا يلزمنا جداً أن نعلم أن علاقتنا الدائمة الشخصية بالمسيح بالحب الصادق من خلال إيحاءات الروح القدس المستمرة هي الأساس القوي جداً للإنتصار على ناموس الخطية مهما كان سلطانه: «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء

والشهوات» (غل ٥ : ٢٤). هنا كلمة «للمسيح» تفيد علاقة قريبة شديدة متصلة اتصالاً مستمراً لا يكل ولا يمل.

حيث معروف أن اتحادنا بالمسيح الآن هو اتحاد بالمسيح القائم من الأموات المعطي الروح القدس بالنفخة السرية من خلال كل أسرار الكنيسة «إن كان أحد ,, في المسيح ،، فهو خليقة جديدة» (٢ كو ٥ : ١٧).

(هـ) فإذا قارنّا في الختام بين ناموس الخطية وناموس روح الحياة، اكتشفنا مقدار الهوة المريعة بين الخديعة التي ننساق إليها إذا اخترنا لأنفسنا الخطية، وبين أصالة الحق والنور الذي سنسير فيه إذا اخترنا الروح القدس وسمعنا صوته ولم نقسي القلب.

فناموس «الخطية والموت» قانون صارم مستبد شرس، بلا عقل أو حكمة أو أية منفعة، ناموس أعمى لا معنى له ولا غاية إلا الموت والهلاك الذي شبهه الرسول بسريان النجوم التائهة في فلك الفضاء وهي تحترق وتتلاشى، أو الغيوم التي يسوقها النوء بلا أي نظام، أو سقوط أوراق الخريف كيفما كان فتذرها الريح عن وجه الأرض ولا يقر لها قرار (يه : ١٢، ١٣).

فإذا تسلط ناموس الخطية على الأعضاء أعمى الذهن وجرّده شيئاً فشيئاً من إدراك الحق الإلهي، وحقّر في نظره العفة والقداسة، وقلل من شأن كل فضيلة وكل ما هو لله. فإذا ملك ناموس الخطية على الأعضاء وعلى الذهن أنهى على الإرادة بالتالي وأذلّها تحت كل شهوة ونجاسة واستعبد الإنسان كلية.

أما إذا فحصنا ناموس «روح الحياة في المسيح» نجده من حيث القوة أقوى من ناموس الخطية وأكثر سيادةً وسلطاناً، وقد مثله الرب يسوع في إنجيل لوقا الأصحاح الحادي عشر بـ«الرجل الأقوى». فإن كان الشيطان قوياً فالروح القدس أقوى «ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه يغلبه و ينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه و يوزع غنائمه» (لو ١١ : ٢٠ــ٢٦).

فإن كان ناموس الخطية يُحدر الإنسان إلى ما هو دون الطبيعة حتى ينتهي به إلى

الموت فكراً وعملاً ، فناموس روح الحياة في المسيح يسوع يرفع الفكر والإرادة والعمل بل وحتى الجسد إلى ما فوق الطبيعة حتى إلى حياة أبدية .

وإن كان ناموس الخطية يعمل في جو من الظلام على أساس الكذب والخداع والكلام الملق والتصورات المفخمة المهولة المملوءة باللذة الخادعة ، حتى يتم إلقاء الشبكة وحينئذ يمد الشيطان يده بسرعة خاطفة ليذبح الفريسة قبل أن تستيقظ ؛ نجد ناموس الروح القدس يعمل في النور على أساس الحق درجة درجة بتروي ، و برهان صدقه فيه ، حيث كلما ساد ناموس الروح كلما ساد الإنسان على نفسه وأهوائه وغرائزه ، وفاحت من ذهنه وفمه وسلوكه رائحة القداسة ، حيث كل خطوة تكون ذات معنى وذات أثر وذات انسجام أعظم مع النفس ومع الناس والله والكون والخليقة كلها .

واضح إذن أنه مستحيل على الإنسان أن ينعتق من ناموس الخطية والموت إلا بهذا الناموس الأقوى والأعظم «ناموس روح الحياة في المسيح يسوع» .

(٢)

الروح القدس وجهادنا المتواصل ضد الخطيئة

«أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في ٤ : ١٣).

ينبغي أن نلتفت جداً إلى أساس جهادنا الروحي ضد الجسد والخطيئة والعالم، لأن أي جهاد لا يقوم على الإيمان الصحيح لا يفيد شيئاً.

فأول كل شيء ينبغي أن نثق تماماً أن المسيح لا يعمل فينا بدون الروح القدس، والروح القدس لا يعمل فينا بدون المسيح، ونحن بدورنا يستحيل أن نعمل شيئاً بدون المسيح والروح القدس.

فالروح القدس يأخذ من المسيح و يعطينا، أي أن الروح القدس لا يعطينا من ذاته شيئاً مباشرة، ولكن قدرته الفائقة والعجيبة جداً تنحصر في أنه يستطيع أن يأخذ كل ما للمسيح و يعطينا، لأن كل ما عمله وأكمله المسيح في حياته فهو لنا.

فالمسيح أكمل في نفسه ومن أجلنا كل واجبات ومتطلبات القداسة اللازمة والمفروضة لحياة كل إنسان أمام الله «لأجلهم أقدس أنا ذاتي» (يو١٧ : ١٩). لذلك فخارجاً عن حياة المسيح أو بدون حياة المسيح، لا أمل ولا رجاء ولا نصيب في أية قداسة أو بر أو فداء لأي إنسان «ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله و براً وقداسة وفداءً» (١ كو١ : ٣٠).

ولكن في نفس الوقت نجد أن كل ما عمله وأكمله المسيح في حياته ضد الخطيئة والموت من أجلنا، كونه «دان الخطيئة في الجسد» (رو٨ : ٣)، يستحيل أن ينتقل إلينا أو يصير له فاعلية في حياتنا إلا بالروح القدس، كما هو مكتوب: «لأن ناموس ,,روح الحياة،، في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت» (رو٨ : ٢).

أي أن الروح القدس ـــ ذا القوة والقدرة الفائقة على الطبيعة البشرية وعلى العقل

وعلى المنطق وعلى الجسد ــ هو الذي يتولى عملية فك ناموس الخطيئة وتحطيم سلطان الموت من الطبيعة البشرية لدى كل إنسان، بعملية سرية أو سرائرية فائقة، تتلخص في إحلال حياة المسيح ــ أي المسيح الحي ــ بدل حياتنا الآدمية العتيقة، يأخذ كل ما لنا و يعطينا كل ما للمسيح حتى يستطيع الإنسان في النهاية أن يقول عن إحساس يقيني: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠). وذلك كله على أساس شرط واحد، هو أن نؤمن ونعتمد على أن المسيح مات على الصليب كخاطىء لأجلنا، وقام من الأموات كبارٍّ لأجلنا. أي «أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو٤: ٢٥).

غير أن الروح القدس **أيضاً** هو الذي يقوم بإقناعنا بهذا الإيمان، أي بالإيمان بموت المسيح وقيامته عنا، و يرفع إيماننا هذا إلى مستوى اليقين الفائق على المنطق والعقل. وهكذا نجد أنه حتى الإيمان نفسه الذي هو أساس عمل الروح القدس فينا هو في الحقيقة ليس منا أصلاً، بل هو عطية الله الفائقة، غير أنه يصبح في النهاية، إذا تمسكنا به، مِلكاً لنا وفعلاً إلهياً ثابتاً فينا، وأساساً لعمل الروح القدس الفائق الوصف.

الروح القدس يحوّل الإيمان فينا إلى عمل:

أما الإيمان هنا فهو الإيمان بموت المسيح الكفاري عن الخطاة وقيامته لتبريرهم أمام الله الآب.

وأما العمل هنا الذي نقصده فهو الجهاد ضد الخطيئة للسلوك بحسب القداسة.

الإيمان والعمل لا يمكن فك ارتباطهما ببعض، ولكن الإيمان بما عمله المسيح من أجلنا لا يتحول تلقائياً أو بالجهد الذاتي إلى عمل، أي إلى جهاد ضد الخطيئة لبلوغ القداسة، لابد من توسط الروح القدس!!

الروح القدس يستخدم إيماننا الفائق الواثق بشخص المسيح الحي، فمن خلال الإيمان ينفذ الروح القدس إلى أعماق كيان الإنسان الفكري والإرادي، فيجعل الفكر والإرادة في حالة خضوع وقبول شديد لفكر المسيح وإرادته، فيبدأ الإنسان في الدخول

إلى حالة تغيير شديد، و يصبح قادراً في الحال على العمل والجهاد ضد الخطيئة بسهولة و بقوة فائقة على كل إمكانياته الفكرية والإرادية السابقة، مما يكشف فعلاً عن حدوث حالة حلول للمسيح بالإيمان داخل القلب وعن سيطرة الروح القدس على الفكر والإرادة. وما يصبح على الإنسان بعد ذلك إلا الخضوع المتواصل والطاعة المذعنة الفرحة لعمل الروح القدس، حتى يكمل الإنسان بإرادته الجديدة و بفكره الجديد عمل الخلاص بالجهاد النشط الحار ضد الخطية وكل شبه خطية.

«تمموا خلاصكم بخوف ورعدة، **لأن** الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة» (في ٢: ١٢، ١٣).

واضح هنا من قول الرسول أن الله هو الذي يبدأ أولاً بعمله الشخصي بالروح القدس داخل إرادتنا، و بإقناعنا للعمل ضد الخطية بسرور الإرادة، ولذلك يطالبنا بالتتميم، أي يطالبنا بتكميل عمله الذي بدأه فينا، بخوف ورعدة، لئلا نفقد خلاصنا و يصير عمله فينا شاهداً ضدنا. وليلاحظ القارىء وضع حرف «**لأن**» بين «**تمموا خلاصكم**» و بين «**الله هو العامل فيكم**». فعملنا متوقف بالضرورة على عمل الله المسبق فينا!!

وهذه المبادرة العجيبة والسرية التي يقوم بها الله داخلنا على مستوى الإرادة والعمل هي بسبب أن الله يعلم تماماً بضعف الجسد وانهزام الإرادة البشرية تجاه سطوة ناموس الخطية ولعنة الموت «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه فيما **كان ضعيفاً بالجسد**، فالله إذ أرسل إبنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد لكي يتم فينا حكم الناموس (قُرِئت بر الناموس) نحن السالكين ليس حسب الجسد **بل حسب الروح**» (رو٨: ٣، ٤).

أي أن المسيح جاء ليمنحنا (في نفسه) بر الناموس متجاوزاً عن ضعف جسدنا، معطياً لنا ما كان له بالجسد من بر ومن نصرة ضد الخطيئة، عطاءً سرياً أو سرائرياً بحلوله فينا بواسطة عمل روحه القدوس داخلنا، وذلك برفع الإرادة إلى مستوى إرادة

المسيح ، ورفع الفكر إلى مستوى فكر المسيح حتى إلى درجة العمل والجهاد ضد الخطية بسرور الإرادة «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة».

إذن فعطاء الله بالمسيح ليس عطاءً إيمانياً فكرياً أو إيمانياً نظرياً فقط ، بل هو إيمان عملي ضد الخطيئة.

من أجل هذا يصرخ يعقوب الرسول محذّراً أن «الإيمان بدون أعمال ميت» (يع ٢ : ٢٠)، لأن مباشرة العمل الخلاصي والجهاد ضد الخطية هي العلامة الوحيدة على أن الروح القدس قائم وفعّال داخل الكيان الفكري والإرادي ، وأن المسيح حي قائم في القلب ، أي أن الإيمان حي فعلاً !!

ومن ضمن الوسائل الفعّالة جداً التي يستخدمها الروح القدس لإقناعنا بمواصلة الجهاد والعمل والسهر ضد الخطية ، إدخاله إيانا في إحساس واقعي بالعفو والبراءة بفعل دم المسيح الماسح والغاسل للخطايا بصورة مفرحة ومذهلة للعقل ، كلما جاهدنا جهاداً صحيحاً حسب إرادة الله ومسرته !

هنا مواصلة الجهاد والنمو فيه ليس من إرادة بشرية ولا من طموح ذاتي ، بل هو في الحقيقة طاعة صادقة لصوت الروح القدس وحثه المقنع والمفرح للقلب لمواصلة الجهاد ، ونتيجة مباشرة لتذوق عذوبة العمل المضني والجهاد المتواصل ضد الخطية تحت قيادة الروح القدس ، بحيث أن كل خطوة في جهادنا الروحي ضد الخطيئة ، بقيادة الروح القدس وتحت طاعته ، تجعلنا نمسك أكثر بحقيقة فعل الدم وحقيقة معنى التبرير وحقيقة الحياة الأبدية «**جاهد جهاد الإيمان** الحسن **وامسك بالحياة الأبدية** التي إليها دُعيت» (١تى ٦ : ١٢).

هذا الجهاد الروحي بكل مفاعيله الداخلية التي يخلقها الروح القدس في إرادتنا خلقاً متواصلاً بلذة فائقة ، وبضبط فائق لكل شهوة وكل انحراف ، باستعذاب كل صوم وكل حرمان وكل تعفف وكل مقاطعة لما هو شبه شر، وكل وقوف في الصلاة والسهر مهما طال ، هذا كله هو ما يقصده بولس الرسول بقوله «لا شيء من الدينونة

الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو٨: ١).

فالسلوك حسب الروح هو هو هذا الجهاد العذب المتواصل ضد الخطية تحت قيادة الروح القدس.

(٣)
الروح القدس والأعمال الصالحة

نحن مقدسون بالمسيح، أو في المسيح، وخارجاً عن المسيح أو بدون المسيح لا يدعى إنسان ما أنه قديس «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل٣: ٢٧).

هي إذن «قداسة المسيح» التي تُنسب إلى أولاده، يلبسونها فوق عريهم أو فوق خزيهم فإذا بهم قديسون وأبرار. وليس أحد قديساً من ذاته أو من أعماله، لأنه بدون المسيح لا يوجد عمل صالح أمام الله «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت ليحضركم **قديسين** وبلا لوم ولا شكوى أمامه. **إن ثبتُّم على الإيمان**» (كو١: ٢١–٢٣).

ولكن لا يمكن أن تُضاف إلينا قداسة المسيح بدون الروح القدس. الروح القدس أول كل شيء وبداية كل شيء، فهو يضطلع في المعمودية بعملية غسيل سرية أو سرائرية عميقة أشد العمق فائقة أشد التفوق. فهو غسل يتعمق الطبيعة في كيانها العتيق، يرفع عنها لعنة الموت ورائحته، ويهبها قوة حياة لا تزول، لأن الروح القدس يغسل الإنسان بدم موت المسيح ويدهنه بدهن قيامته السرية، فيخرج من جرن المعمودية خليقة أخرى مقدسة في المسيح لله. «ولكنكم اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع **وبروح** إلهنا» (١كو٦: ١١). (الغسيل للجسد، والتبرير للنفس، والتقديس للروح).

إذن فقداسة القديس ليس في أصلها إلا موت المسيح وقيامته ينقلها الروح القدس من طبيعة المسيح ويغرسها في طبيعتنا أولاً بأول، في سر لا يُنطق به، عبر الإيمان وعبر التوبة وعبر المعمودية وعبر كل تناول وعبر كل قراءة الإنجيل، حتى نتغير عن شكلنا كلية ويصبح «المسيح حياتنا» (في١: ٢١) و«يحل المسيح بالإيمان في قلوبنا» (أف٣: ١٧).

إذن فالقداسة هي هبة المسيح العظمى، هي سكنى المسيح في القلب بالإيمان، هي موته الذي يلغي نجاساتنا، وهي حياته التي تجدد خلقتنا.

القداسة في المسيح هبة كاملة، وفي النهاية و بعد تكميل كل سر تشمل كيان الإنسان كله جسداً ونفساً وروحاً، لأنه فعل داخلي وعمل إلهي كامل **وفائق**، ينتهي بها إلى مستوى خليقة كاملة **مؤهَّلة** للظهور أمام الله بلا لوم!

ـ «وإله السلام نفسه **يقدسكم بالتمام**، ولتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح. أمين هو الذي يدعوكم **الذي سيفعل أيضاً**» (١تس ٥: ٢٣، ٢٤).

هذا هو التقديس السري الفائق الذي يضطلع به الروح القدس **«نفسه» فيعمله** في صميم طبيعة الإنسان، ولكن في غير إحساس مادي أو وعي شعوري للإنسان، وذلك بالإيمان و بالإنجيل ومن داخل أسرار الكنيسة!

ولكن، و بعد ذلك التقديس السرائري، يتبقى عمل تقديسي آخر أو تقديس تكميلي يضطلع به الروح القدس **بواسطة الإنسان نفسه** من خلال الأعمال الصالحة! «فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء **لنطهر ذواتنا** من كل دنس الجسد والروح **مكمِّلين القداسة** في خوف الله» (٢كو ٧: ١).

أي أنه بعد تقديس الله لنا ــ بواسطة تبنّيه لنا في إبنه و بالروح القدس ــ تقديساً مجانياً كاملاً بالنعمة «إذ لنا هذه المواعيد»، يعود الله و يطالبنا صراحة بأن نجاهد الجهاد الحسن على مستوى الجسد والروح ضد أي خطيئة تمس طهارة الجسد أو الروح «لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح»، ثم نرتفع بهذا الجهاد إلى مستوى أعمال القداسة كالصلاة بلا ظهور والصوم بلا افتخار، وحفظ كلمة الإنجيل بوعي روحي وخوف، والمواظبة على المحبة الأخوية الصادقة بالشركة في الجسد والدم عن استحقاق طهارة القلب، وخدمة البذل والشهادة في حينها. و بالإختصار «**مكملين** القداسة في خوف الله»، حيث هنا لا تكون الأعمال الصالحة بدءاً أو أساساً للقداسة، ولكنها كما

يقول الرسول تكون «**تكميلاً**» حتمياً لها، بحيث إذا توقفت الأعمال الصالحة أو أهملت، لا تكمل فينا القداسة التي وُهبت لنا في المسيح بالروح القدس، بل وتصبح بلا نفع.

بل وأكثر من ذلك، فإن الله يرى أن تكميل القداسة المفروضة علينا بالعمل الصالح ــ والتي بدأها هو فينا مجاناً ــ ليس تكميلاً سهلاً أو كأنه تكميل لا يحتاج إلى حذر وانتباه، بل هو خطير للغاية، ويحتاج إلى «**خوف** ورعدة كثيرة»، لئلا يتحول إلى افتخار وتعالي أو يتحول إلى عمل روتيني ميت، فلا يؤدي إلى تقديس حقيقي للجسد والنفس والروح، أي إلى اتحاد بالمسيح، بل إلى رياء فسقوط!...

لذلك، فمؤازرة الروح القدس في العمل «لتكميل القداسة في خوف الله» أمر فائق الخطورة والأهمية لخلاصنا، لأن الروح القدس محب جداً للعمل الصالح، وهو الذي يقترحه ويحث عليه، و يعطي المثابرة والنشاط، و يعين ضعفاتنا و يعلمنا ما ينبغي أن نصلي من أجله، و يشفع في جهلنا وعدم معرفتنا بأنَّات لا يُنطق بها، لأنه هو وحده الذي يعرف ما هي حاجة القديسين، وماذا ينبغي أن يكون اهتمامهم، وما هو لازم للروح لتكميل القداسة!...

على أنه ينبغي أن ندرك أن الأعمال الصالحة أو أعمال «تكميل القداسة» ليست من صنع بشر، ولا هي خبرات جماعة نساك أقوياء اقترحوها من أنفسهم، بل هي من صنع الروح القدس وإلحاحات النعمة النابعة من جهاد المسيح، فهي وصايا إنجيلية وهي عمل الله الخفي في قلوب الأتقياء: «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠).

أي أن الأعمال الصالحة هي هي أعمال الروح القدس، أي أعمال قداسة أو تقديس، وهي نابعة أصلاً من المسيح الذي جعل حياته كلها «**عملاً صالحاً**» لحسابنا، لذلك يقول الرب «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ١٥: ٥). وهو قد سبق فأعدَّ لنا كل الأعمال الصالحة اللازمة لتكميل قداستنا واتحادنا فيه، لا كأنها

أعمال توهب بلا جهد بل يقول: «لكي **نسلك** فيها»، أي بمعاناة وآلام وحروب ومقاومات كثيرة وعنيدة، ولكن المسيح سبق أيضاً ووهبنا «**المعزّي**» الروح القدس معطي القوة «تنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم» (أع ١: ٨)، ذاك الذي يستطيع أن يجعل مع جهادنا وسهرنا ومعاناتنا عزاءً ما بعده عزاء، لأن طبيعة الروح القدس تحول طبيعة الألم إلى لذة وفرح وانتصار القداسة «من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنم للذبح. ولكن في هذه جميعها **يعظم انتصارنا بالذي أحبنا**» (رو ٨: ٣٦، ٣٧).

إذن فأن يصبح الإنسان قديساً أمام الله وبلا لوم فهذا من عمل المسيح مباشرة في الطبيعة البشرية، وهذا يعتمد أساساً وكلية على الإيمان بالمسيح والإعتماد لموته وقيامته وقبول الروح القدس: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» (أف ١: ٣، ٤).

ولكن لكي يقبل كل واحد منا قداسة المسيح شخصياً ويحتفظ بهذه القداسة يوماً بعد يوم ويكملها على مستوى الحياة والشهادة، فإن مؤازرة الروح القدس للأعمال الصالحة تصبح ضرورة حتمية «روح الحق يرشدكم إلى جميع الحق» (يو ١٦: ١٣)، «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة» (في ٢: ١٢)، «خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنّا» (رو ١٣: ١١)، «مكملين القداسة في خوف الله» (٢ كو ٧: ١)، «في سيرة تليق بالقداسة... مقدماً نفسك في كل شيء قدوة للأعمال الحسنة» (تى ٢: ٣، ٧).

وأعمال القداسة قد تبدو لكثيرين وكأنها زيادة أو مغالاة في العبادة أو التقوى، إذ يكفي في نظرهم أن لا نعمل الشر وكفى، ولكن أمر الله في هذا يقطع بالإلزام «بل نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم **أيضاً قديسين في كل سيرة**، لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (١ بط ١: ١٥، ١٦)، لأن القداسة «بدونها لن يعاين أحد الرب» (عب ١٢: ١٤).

ومعلوم أن الوصية في العهد القديم التي كانت مكتوبة بحرف الكلمة على الحجر (رمز للقلب الحجري)، صارت مكتوبة في العهد الجديد بالروح القدس على القلب اللحمي. الروح القدس هو الذي يوصي بالقداسة و يرسم كل أعمالها في الضمير.

لذلك فبقدر ما كانت أعضاء الإنسان مغلوبة ومستعبدة لشهوات النجاسة بسبب ضعف الجسد، تصبح بنعمة الروح القدس وقوته الفائقة و بإلحاحاته في القلب قادرة ومستعدة أن تكون مستعبدة بكل فرح وسرور لأعمال القداسة: «أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم، لأنه كما قدّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم، هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة» (رو٦: ١٩). هنا القداسة عمل وممارسة وجهاد.

كذلك هنا الإشارة إلى الشيطان واضحة جداً في التعبير عن استعباد أعضاء الإنسان للنجاسة إلى درجة الإشتعال، كذلك الإشارة إلى الروح القدس واضحة أيضاً في الإنتقال من عبودية الأعضاء للنجاسة إلى عبودية الأعضاء للبر والقداسة، حيث يرفع الروح القدس مستوى الإرادة لقبول الأعمال الصالحة والفرح بعملها ومحبتها الشديدة إلى درجة العبودية! وكأن القلب كله قد أصبح كنزاً لكل فكر صالح ولكل فعل ومبادرة صالحة، كنزاً لا ينتهي بواسطة عمل الروح القدس المتجدد فيه «الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يُخرج الصلاح!» (لو٦: ٤٥).

و يلاحظ هنا أن وصف القلب باعتباره الكنز الصالح كناية سرية عن أنه صار مسكناً للروح القدس، علماً بأن الروح القدس يوصف بحسب التقليد الكنسي أنه «كنز الصالحات»(١). ولكن، وحتى بعد أن يصير القلب متقدساً بالروح القدس وكنزاً للصالحات، فإنه يتبقى عليه بالضرورة عملية إخراج العمل الصالح من القلب إلى حيز التنفيذ، وألا يفقد القلب صفته الإلهية أنه «كنز الصالحات»، لأن الكنز إذا لم

(١) قطع صلاة الساعة الثالثة.

يُستخدم يصير هو هو الوزنة المطمورة في التراب. (وما هو التراب إلا الجسد الترابي الذي أغلق على موهبة الروح «الإيمان» فلم تثمر عملاً صالحاً).

ولكن يلذ لنا أن نعيد ونعيد أمام ذهن القارىء أن القلب بدون كنزه الصالح، أي بدون قوة الروح القدس ونوره، يستحيل أن يفعل من ذاته صلاحاً بأي حال من الأحوال «الجميع زاغوا وفسدوا ــ ليس من يعمل الصلاح ليس ولا واحد» (رو٣: ١٢)، «الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا» (في ٢: ١٣).

ولكن بمجرد قبول الإنسان للروح القدس والإنقياد تحت مشورته وسلطانه ونوره، يصبح الإنسان قادراً على أن يفعل الصلاح، و يُحسب له هذا الفعل الصالح براً وكأنه من عمل الإنسان الخاص ومن صميم إرادته وإيمانه!! هنا اتضاع المسيح وإخلاء الروح القدس، حيث يتنازل كل منهما عن دوره الأساسي في خروج العمل الصالح من قلب الإنسان إلى حيّز الفعل والتكميل ليُحسب كلية لحساب الإنسان، وكأنه من جهده الخاص وإرادته وإيمانه وحده!! ولسان حال الإنسان في ذلك أمام الله «لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك» (١أي ٢٩: ١٤)، أو بلغة القداس: «نقرِّب لك قرابينك من الذي لك» (٢).

---

(٢) قداس القديس باسيليوس ــ قبل سرّ حلول الروح القدس.

(٤)
الروح القدس وإنكار الذات

الأعمال الصالحة خطرة لأنها تجيز للنفس الضعيفة أن تعتقد خطأ أنه بما أنها منبع العمل فهي بالتالي منبع الصلاح، في حين أن العمل شيء والصلاح شيء آخر. فالكنز الصالح الذي يستقر في القلب فيجعله صالحاً ويهبه قوة العمل الصالح هو الله نفسه؛ هو الروح القدس «الكنز الوحيد للصلاح»، «لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله» (مت ١٩ : ١٧).

الله هو سبب الصلاح وأصل القداسة وعلتها الأولى والأخيرة وليس الإنسان، مهما كان.

لذلك فالتأمين الوحيد الذي يجعل العمل الذي يعمله الإنسان صالحاً حقاً ويجعله قديساً، هو نسبته الكلية لله، أي أن يكون باعتقاد راسخ أشد الرسوخ أنه عطية من الله، وأن تُنسب بالتالي ثماره وكل نتائجه لله.

فإذا علمنا أن السبب الرئيسي أو الأصل اللاهوتي الصرف الذي يكمن وراء كل عمل صالح هو تمجيد الله، كما يقول الرب: «لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥ : ١٦)، إذا علمنا ذلك تماماً وتأكدنا منه تماماً، أدركنا لماذا وعلى أي أساس وتحت أي شروط يعطينا الله القوة والبصيرة والنعمة والنشاط الروحي للصلاة والتسبيح والخدمة والوعظ والبذل والمحبة! ثم لماذا يسحبها من بين أيدينا و يتركنا فارغين تماماً جافين باردين، نتلفت وراءنا وأمامنا وكأنه هجرنا مرة واحدة.

إذن فالعمل الصالح يقف ليفرق بين تمجيد الله و بين تمجيد الذات الطامحة في الدنيا أو الطامعة في الشهرة. فإن تحدد تماماً لحساب الله، زاد العمل الصالح وعظم مقداره وازدادت موارده وتأمنت منافعه ودوافعه بلا حدود، وإن هو انحرف لحساب تمجيد الذات، قلّ وشحّ على ممر الزمن، وبهت لونه في أعين الله والناس وضعفت

ثمراته واحتقرت جداً وتساقطت أخيراً لتدوسها الأرجل.

الروح القدس هو الذي يعطي للعمل الصالح «مذاقة الصلاح الحقيقي»، إذ يجعل في صميم الجهد المبذول الإحساس الصادق الأمين بمصدر هذا الجهد الصالح وهذا البذل الصالح، يجعل الإنسان يستنشق من عمله ومن جهده رائحة الله نفسه تفوح بالقداسة، فيزداد الإنسان يقيناً أنه ليس صاحب هذا العمل الصالح مع أنه يجاهد بصميم إرادته، وهذا بالتالي يجعله يلتهب بإحساس قرب الله التهاباً فيحترق شوقاً لجهاد أكثر وبذل أعظم.

الروح القدس يقنع النفس في أثناء الجهاد الصالح قناعة ما بعدها قناعة، أن كل صلاح الله المقتنى من خلال العمل الصالح هو لها، ولكن ليس منها!! وأن القداسة الحقيقية ليست في ذات العمل، ولكن في الإقتراب الشديد من الله في أثناء العمل، ثم في رد فضل العمل إلى صاحبه!

غياب الإحساس المستمر بمجد الله وتمجيده في أثناء العمل الصالح، ينفي صفة الصلاح المنسوبة للعمل و يفيد غياب الروح القدس بل وغياب الإيمان بالله حيث تكون الذات هي وحدها صاحبة العمل والمترجية كرامة ومجداً من ورائه «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض؟» (يو٥: ٤٤).

إذن فإنكار الذات هو عمل الروح القدس الأساسي داخل النفس لضمان قيام أي عمل صالح ودوامه، حيث الوسيلة العملية والإيجابية لممارسة إنكار الذات هنا هي تمجيد الله بإصرار كلي، سواء بالكلام أو بالفكر أو بالتصور أو بالإيمان أو بكل قطرة عرق أو بكل الجهد، حيث يقف الروح القدس ليشهد لله بقوة أعظم من كل حيل الذات وخبثها وتهافتها على الكرامة والتمجيد «الروح القدس يشهد لي وأنتم تشهدون أيضاً لي» (راجع يو١٥: ٢٦، ٢٧). ولكن يستحيل على الروح القدس أن يشهد للمسيح بواسطة عمل الإنسان وقوله إلا من خلال إنكار الذات، حيث يمكن أن يكون الله في النهاية هو الكل في الكل!!

فإن كانت هناك صلاة يمكن أن تكون عملاً صالحاً، فهي التي لتمجيد الله وتسبيحه وشكره، وإن كانت هناك خدمة ما أو وعظ أو كرازة يمكن أن يُقال عنها أنها عمل صالح من أعمال شهادة الروح القدس، فهي التي تنتهي ليس فقط إلى مجرد خلاص النفوس، بل التي تنتهي أيضاً إلى طاعة الحق والإيمان وسيادة الله على كل النفوس. كذلك كل أمانة وكل عدل وكل بذل وكل حب، إنما تُحسب أعمالاً صالحة معمولة بالروح القدس إذا كانت لإزدياد مجد الله كشهادة عملية لأمانته وعدله وفدائه وحبه.

وهنا فليلاحظ القارىء أن عمل الروح القدس من أجل إنكار الذات من خلال العمل الصالح هو ليس مجرد حرب ضد النفس أو مقاومة سلبية لإلغاء وجودها أو كيانها، بل هو عمل إيجابي صرف لضبط كل عمل صالح حتى يسير في مساره الأصيل والأمين: من الله وإليه عَبْر الإنسان ـ بشهادة الذات نفسها! حيث تصبح النفس البشرية في النهاية هي أعظم منتفع من العمل الصالح إذا سار في مساره الإلهي الصحيح، أي إذا بدأ العمل باعتراف النفس بفضل الله وانتهى العمل إلى تمجيد الله، حيث تتقدس النفس البشرية بتقديس الله!!

«قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت، السماء والأرض **مملوءتان من مجدك**».
ملء السماء من مجد الله أمر مفروغ منه، فهو قائم بالخدمة الملائكية. الحاجة أشد الحاجة لنا نحن البشر إلى أن تمتلىء الأرض من مجد الله، هذا هو عمل الإنسان الصالح، أن تمتلىء الكنيسة من مجد الله بالعطاء والشهادة و بالخدمة الصالحة، أن يمتلىء كل دير من مجد الله بالتسبيح والإنسحاق والتفاني في المحبة الإلهية، أن يمتلىء كل بيت من مجد الله بالتعاون والطاعة والقدوة الصالحة. وهذا وذاك لن يتأتى إلا من خلال إنكار الذات على مستوى الكنيسة والدير والأسرة لإفساح الطريق للشهادة المطلقة لله حتى تمتلىء الأرض حقاً من مجد الله وحده.

ولكن لحسن حظ الإنسان أن الذي ينكر نفسه من أجل الله لا يضيع ولا يبقى وحده في فراغ، بل يدخل في الحال في قوة مجال المسيح والصليب وسر الإخلاء الإلهي الذي يؤول إلى سر الوجود الأعظم «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل

صليبه و يتبعني» (مت١٦ : ٢٤). وهنا ينكشف سر إنكار الذات كأساس للعمل الصالح المصبوغ بالألم والدم الذي يؤهل إلى الشركة مع المسيح «لمجد الله».

أن نتبع الروح القدس ونتقاد إلى مشورته الأولى في الجهاد بأن ننكر ذواتنا في كل عمل وفكر من أجل مجد الله، هو هو أن نتبع المسيح حاملين الصليب في مسيرة الطاعة العظمى لمجد الله!! لذلك يقول الرسول عن يقين «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨ : ١٤).

المسيح نفسه قيل عنه أنه أنكر ذاته (الإخلاء)، وقيل عنه أنه انقاد بالروح «وكان يُقتاد بالروح في البرية» (لو٤ : ١). بهذا الإخلاء والإنقياد الطائع العجيب انتهى بالطاعة حتى الموت موت الصليب. لذلك قيل أن الله «رفعه». وهكذا يتحقق بكل قوة و يقين أن إنكار الذات والإنقياد الدائم في ذلك بالروح لتكميل كل عمل صالح هو الطريق السري المؤدي بنا إلى مجد الله في العلا عبر الصليب على الأرض، الذي ينتهي بنا إلى أن يكون الله فينا هو كل شيء.

ولكن هل يكون إنكار الذات كأساس للعمل الصالح سهلاً بغير التضحية بأثمن وأعز العلاقات البشرية؟ الأب، الأم، الأخ، الأخت، الزوجة، والأولاد؟ أو هل يكون بغير نزاع متواصل عنيف ضد الذات وتعلقاتها العاطفية ومتعلقاتها الأرضية وكرامتها وشهرتها وراحتها وآمالها الوهمية؟

هنا ينبري الروح القدس ليعزي الإنسان عن كل ثمين مفقود، وعن كل عزيز مهجور، وعن التخلي عن كل أمل مهما توطد، في سبيل تكميل كل عمل صالح لمجد الله.

أما بدون الروح القدس و بدون عزائه السهل العجيب الحاضر مع الإنسان في الجهاد الصالح في كل لحظة وكل مكان، فيستحيل على الإنسان أن يتجاوز ذاته التي تربت على العطف الزائف والحنان الزائل والمجد الدنيوي، وتغذت على الكبرياء وطلب المزيد من الدنيا بلا تعقل و بلا نهاية.

(٥)

الروح القدس وانسكاب المحبة

«لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا» (رو٥ : ٥).

حينما يبلغ إنكار الذات إلى الحد الفاصل بين الذات الطامحة و بين تمجيد الله ، وحين يطوّح الإنسان بكل علاقاته العاطفية وتعلقاته الدنيوية و يثبّت وجهه نحو الله في شجاعة الإيمان وطاعة البذل وكرامة الخدمة ، تنسكب محبة الله في القلب بواسطة الروح القدس بسرٍّ إلهي يفوق الوصف.

الروح القدس، فوق عمله في الأسرار، فهو يعمل كذلك من خلال العمل الصالح كالصلاة مثلاً ، حينما يبلغ العمل درجة الصفاء في تمجيد الله!

إنسكاب الحب الإلهي بواسطة الروح القدس هنا هو عمل جديد في الطبيعة البشرية ، هو متمم للفداء والتقديس بالدم الإلهي. فالحب الإلهي المعطى لنا هو ثمرة من ثمرات الصليب!

الحب الإلهي حينما يشتعل في القلب ، يكون أول علامة حية ساخنة من علامات الإقتراب الشديد من الله الذي يمهد للإتحاد ، لأن «الله محبة»!

المحبة الإلهية شيء آخر غير المحبة البشرية أو المحبة الطبيعية ، محبة الله أقرب إلى النار في طبيعتها منها إلى أي شيء آخر نعرفه ، هي ليست صفة بل طبيعة إلهية ذات فاعلية عميقة وتأثير شديد ــ كالنار ــ على كل كيان الإنسان. حينما تنسكب فيه وتسكن فيه تُغيِّر كل شيء فيه!! تغيِّر من طبيعته ذاتها ، فتخلق فيه إمكانيات وتحملات وطاقات وإدراكات جديدة ، وتلغي منه ضعفات وتعثرات واضطرارات كان ميئوساً منها ، لأن الحب قوة مصححة ومؤدبة بسلطان وسيادة لا حدود لجبروتها ، غايتها في الإنسان أن تجعله أكثر ملاءمة للحياة مع الله متناغماً مع إرادته المقدسة ومتوافقاً مع غايته.

وما يصنعه الحب في الواحد يصنعه في الآخر، كلٌّ حسب احتياجه، حتى يصير كل إنسان قريباً من أخيه الإنسان. فالحب الإلهي عامل اتحاد لا يجارَى، يعمل بإقناع وبسيطرة وبسر يفوق الوصف. هو أثمن ما يقتني الإنسان في حياته على الأرض، هو رباط الشركة، الشركة مع الله ومع القديسين ــ **لا شركة بدون حب، ولا حب بدون الروح القدس.**

في البداية ينسكب الحب من الله في القلب سكيباً بسر الروح القدس، وذلك عندما يبلغ الإنسان درجة **إنكار الذات**، فتتم الشركة مع الله، وبعد ذلك يفيض الحب الإلهي من الإنسان على الآخرين بفعل الروح القدس الساكن في القلب بعد ما ينجح الروح القدس في تحطيم كبرياء الإنسان وتنظيف وساحات قلبه.

انسكاب الحب الإلهي في القلب لا يمكن أن يتم إلا بالروح القدس. لا يوجد فاصل زمني ولا فارق كياني يفصل أو يفرّق بين الحب والروح القدس، فحالما يوجد الروح القدس تنسكب المحبة الإلهية في القلب المتعطش لله.

وطالما الروح القدس ساكن في القلب، فالمحبة تفيض بلا مانع بل وبسرور شديد كأنهار ماء حي تروي أينما تجري!...

لا يمكن أن نفصل بين الحب الإلهي والروح القدس. ولكن تعوُّق انسكاب الحب في القلب ليس معناه غياب الروح القدس، ولكن يكون سببه انشغال الروح القدس بتأديب الإنسان وتنظيف وساحاته أولاً. **الروح القدس لا يكل ولا يمل من التأديب والتوبيخ، فهو لا يطيق أي خطية مهما كانت صغيرة لأنها تعيق انسكاب الحب وتعيق سكناه!!** وتأديب الروح القدس **وتوبيخه** المستمر للقلب **هو هو الحب** في أعمق درجاته العملية!!

الحب الإلهي لا ينسكب من الله في القلب إلا بعد أن ينجح الروح القدس في تطهير القلب من أي حب آخر، وأصعب معوقات انسكاب الحب الإلهي **هو حب الذات**، وهو جذر سام ضارب في أرض الشهوة، ثمراته كلها مُرَّة: طمع، حسد،

حقد، كرامة، عظمة، بغضة، عداوة، وأخطرها الطمع وقد سماه بولس الرسول «عبادة الأوثان» (كو٣: ٥)، لأن الطمع يجعل النفس، بدل أن تكون هيكلاً للروح القدس تقدم بواسطته ذبائح الحب، تصير هيكلاً لروح الخبث تضحي فيه للشيطان ضحايا شهواتها.

علامة سكنى الروح القدس في القلب هي **وجود المحبة**. أما علامة نجاح الروح القدس وتملكه على القلب فهي **فيضان المحبة أو انسكابها على الآخرين** بلا حساب ولا حذر.

فيضان المحبة يثبت وجود الروح القدس داخل القلب، و يكشف عن نشاطه وفرحه. والروح القدس يبلغ منتهى نشاطه وفرحه داخل قلب الإنسان حينما ينجح بإقناع المحبة في جمع شمل أولاد الله في وحدانية صادقة ــ أي شركة الإيمان والعبادة والصلح والسلام. لأن هذا هو جسد المسيح «محتملين بعضكم بعضاً **في المحبة، مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام، جسدٌ واحدٌ وروحٌ واحدٌ»** (أف ٤: ٢، ٣).

أي أن محبة الله المنسكبة في القلب بواسطة الروح القدس هي أصلاً وأساساً لتكوين شركة جسد المسيح، **أي كنيسة الحب والبذل**، أهل بيت الله ــ رعية القديسين. الروح القدس هو الصانع هذه الوحدانية «وحدانية الروح» ــ بيت المحبة. ولكن حفظ هذه الوحدانية قائم ودائم، يحتاج **إلى جهد من الإنسان ومن الروح القدس** لا يكل ولا يمل، **جهد احتمال** «محتملين بعضكم بعضاً»، **وجهد حفظ الصلح** «تحفظوا وحدانية الروح برباط الصلح». وهذه هي علامة المحبة الصادقة والطاهرة بشدة كما يقول بطرس الرسول: «المحبة الأخوية عديمة الرياء»، «من قلب طاهر بشدة» (١بط ١: ٢٢)، أي يكون لها **«جهد احتمال»** دائم لا يكل حتى إلى الموت، لأن المحبة أقوى من الموت، **وجهد حفظ رباط الصلح مع الإخوة قائم لا ينقطع مهما كانت التكلفة.**

انقطاع المحبة وتوقف الصلح لا يلغي وجود الروح القدس، ولكن يكشف عن

حرج موقفه، فهو يصير في حالة «**حزن**» **وينحجب نوره الساطع فجأة وكأنه قد «انطفأ»**. وهذا معناه أن الخطية قد استعادت قوتها ورفعت قرنها البشع، ونجحت بشراستها ــ ولو إلى حين ــ في اقتحام قلب الإنسان وإفساد هيكل الروح القدس، وأخمدت حركة الحب. وإذا بالحبيب يُجرح في بيت أحبائه. وفي لحظة يظهر وكأنما «**المعزِّي**» **صار حزيناً يحتاج إلى عزاء!!** وبات الروح ومصباحه منطفئاً في القلب ودنيا الإنسان كلها ظلاماً!

يالرقة الروح القدس ولطفه وحنانه وتودده للإنسان! فهو إذا لم ينجح في أن يجعل الحب الإلهي مسرة القلب وشغل الفكر الشاغل، **ينحصر داخل النفس ويحزن** ويكتئب ويصير **في غمٍّ شديد**، وكأنه يسترجع مواقف الرب حينما وقف إزاء جحود الإنسان يتوجع «نفسي **حزينة جداً** حتى الموت!!» (مت ٢٦: ٣٨)، أو إزاء فقدان الرجاء في الطريق إلى قبر لعازر «**بكى** يسوع» (يو ١١: ٣٥).

هكذا أيضاً يحذرنا بولس الرسول «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء!!» (أف ٤: ٣٠)، لأن المسيح نور العالم لما صلبوه انحجب نوره فصار العالم كله في ظلمة!! هكذا أيضاً الروح القدس نور الضمير وناره الوهاجة، إذا **أُهينت المحبة أو خُذلت القداسة** أو افتُضح العقل وامتُهنت الرزانة، خبا نوره وانحجبت ناره عن الإنسان، لأن في **طاعته** ينتقل الإنسان في حرارة الحب كل يوم «من مجدٍ إلى مجدٍ كما من الرب الروح» (٢ كو ٣: ١٨)، **وفي جحوده وعناده ينطفىء لهيبه فجأة** ويصير الإنسان في ظلام وبرودة وعداوة ولا يعرف إلى أين يسير!!» «لا تطفئوا الروح» (١ تس ٥: ١٩).

(٦)
«لا تحزنوا روح الله القدوس، الذي به خُتمتُم ليوم الفداء»
«ولا تطفئوا الروح»
(أف ٤ : ٣٠؛ ١تس ٥ : ١٩)

الإنسان المسيحي مجاهد بالدرجة الأولى، يتقلد «سيف الروح الناري» منذ أول لحظة يخرج فيها من ماء المعمودية كمولود جديد، «هو يعمدكم بالروح القدس ونار» (مت٣ : ١١).

فالإنسان المسيحي يقوم في هذا الجهاد والسيف لا يفارق يده والنار لا تفارق عقله وقلبه حتى آخر لحظة من حياته ساعة أن يستودع الجسد للتراب الذي أُخذ منه، مضمخاً بعطر المحبة الخالصة الكثيرة الثمن، وتنطلق الروح في نصرة الروح والتهاب الحب واستنارة الحكمة، لتحيا إلى الأبد تسبّح في حضرة خالقها.

في ساعات نصرة الجهاد الواعي تحتضن النعمة الإنسان وتلذذه بثمرات الحب الإلهي ونور المعرفة الفائقة، فيحس الإنسان أنه أسعد خليقة على الأرض، بل و يتحدى الملائكة في سعادته ودالته مع الله. في هذه الساعات يفرح الروح القدس بالإنسان جداً.

ولكن حينما ترتد النفس وتنحصر تحت حماقة غرائزها الطبيعية وهيجان اللاشعور، و ينبطح الإنسان في أرض المعركة و يتعدى وصايا الحب الإلهي؛ ينحصر الروح القدس داخل القلب و يكتئب جداً، إذ تتوقف رسالته الأولى والعظمى: رسالة الحب الإلهي، و يصبح خلاص الإنسان في خطر، و يتعطل عمل الفداء.
وهنا يقف الصديق الأعظم للإنسان حائراً قلقاً حزيناً: «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتُم ليوم الفداء».

وأمام جهالة الإنسان هذه وحماقته الشديدة، حينما يطرح الحكمة خلف ظهره و ينبذ

الرزانة والوقار و يتدانى إلى مستوى البهيمة أو ما دون، و يدخل عقله في منطقة الظلمة راضياً مستسلماً لأهواء الهوان صائراً في ذلةٍ واحتقار، يرتد الروح القدس إلى خلف و ينطفيء نوره في القلب، و يتوقف لسانه الناري في العقل، فلا يُسمع له صوت فضيلة ولا حركة نعمة ولا فعل إحراق وتطهير «لا تطفئوا الروح»!

كل خطيئة ضد المحبة هي خطيئة ضد الآب وضد الإبن، وضد الروح القدس بالدرجة الأولى؛ لأنه هو الذي يقود الإنسان إلى حضن الآب والإبن. و بالتالي، فكل عداوة وكل بغضة وكل حقد وكل حسد وكل ملمة وكل دينونة وكل احتقار أو إهمال وامتهان للآخرين هي هي خطايا موجهة ضد عمل الروح القدس ورسالته، وهي كفيلة بأن تجعله في غم وحزن واكتئاب، مع أنه هو المتكفل بتعزية الإنسان!! علماً بأن حزن الروح القدس هو بعينه الذي يرتد على الإنسان شعوراً بالخيبة والمرارة والجفاف الشديد، إن كان في القراءة أو الصلاة أو الخدمة، مع وجع في القلب وغُصَّة أشبه ما تكون بغُصَّة الموت! لأنه إذا ضاع الحب والعزاء من الإنسان فماذا يتبقى له؟

كذلك، فإن كل خطيئة ضد الحكمة والحق والرزانة فهي خطيئة ضد الروح القدس، و بالتالي فكل خطيئة ضد العفة والقداسة وكل كذب أو افتراء وكل تصاغر وخفة في السلوك أو التدبير هي خطايا موجهة ضد الروح القدس مباشرة، لأنه هو المتكفل بتلقين الإنسان «كل الحق»، وهي كفيلة بأن تطغى على نوره وعلى تأججه واشتعاله في القلب حتى تطفئه. فإذا انطفأ الروح القدس في القلب فماذا يتبقى للإنسان إلا ظلام و برودة، فلا إلهام ولا فهم ولا مشورة ولا حكمة، بل تخبُّط في الجهالة وفقدان هدف الحياة فيتخبط الإنسان ولا يعرف إلى أين يسير.

وهكذا فإن الروح القدس إذا أُحزن بالأعمال والأقوال التي هي ضد المحبة وأُطفيء بالأعمال والأقوال التي هي ضد الرزانة والحق، لا يتبقى للإنسان أي مصدر للعزاء أو الرجاء، ولا أي ملجأ يلتجيء إليه، ولا أي معين يستصرخ نحوه. لذلك يقول الرب إن الخطيئة ضد الآب تغفر والتي ضد الإبن تغفر أيضاً، ولكن التي ضد الروح القدس لا تجد لها منفذاً ولا غفراناً!! لأن الروح القدس هو الذي يمسك بيد الإنسان و يقوده

بالحب و بالحق إلى حضن الإبن ثم حضن الآب!!

والآن إذا عدنا إلى قائمة الخطايا التي يسردها بولس الرسول في رسالته إلى أفسس وفي رسالته الأولى إلى تسالونيكي باعتبار أنها خطايا تحزن الروح القدس وتطفئه، نجدها في مجملها تنقسم بوضوح إلى قسمين واضحين: خطايا ضد المحبة، وخطايا ضد الحق، وخطايا تحزن الروح القدس، وخطايا تطفىء نوره ولهيبه.

وهنا نرجو القارىء أن يقرأ بتؤدة و بفحص:
أولاً: كل الآيات الواردة في أفسس ٤: ١٤ـــ٣٢، ٥: ١ـــ٢١.
ثانياً: كل الآيات الواردة في اتس ٥: ١٥ـــ٢٤.

١ ــ «كي لا نكون في ما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس، بمكر، إلى مكيدة الضلال. بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح، الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء، يحصّل نمو الجسد لبنيانه في المحبة.

«فأقول هذا وأشهد في الرب أن لا تسلكوا فيا بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببُطل ذهنهم، إذ هم مظلمو الفكر ومتجنّبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم. الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع. وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا، إن كنتم قد سمعتموه وعُلِّمتم فيه كما هو حقٌ في يسوع أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.».

«لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه، لأننا بعضنا أعضاءُ البعض. إغضبوا ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم. ولا تعطوا إبليس مكاناً. لا يسرق السارق في ما بعد بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطي من له احتياج. لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم، بل كل ما كان صالحاً

للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين. ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتُم ليوم الفداء. ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث. وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح».

«فكونوا متمثّلين بالله كأولاد أحباء. واسلكوا في المحبة، كما أحبّنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة».

«وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يسمّى بينكم، كما يليق بقديسين. ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق، بل بالحري الشكر. فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجسٍ أو طمّاع الذي هو عابدٌ للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله. ولا يغرّكم أحدٌ بكلام باطل، لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية. فلا تكونوا شركاءهم، لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنورٌ في الرب. اسلكوا كأولاد نور، لأن ثمر الروح هو في كل صلاح وبر وحق، مختبرين ما هو مرضيٌّ عند الرب. ولا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة، بل بالحري وبّخوها، لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح. ولكن الكل إذا توبّخ يُظهَر بالنور. لأن كل ما أُظهِرَ فهو نور. لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح».

«فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء، مُفتدين الوقت لأن الأيام شريرة. من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء، بل فاهمين ما هي مشيئة الرب. ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل امتلئوا بالروح. مكلّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب. شاكرين كل حين على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب. خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله».

٢ــ «انظروا أن لا يجازي أحدٌ أحداً عن شرٍّ بشرٍّ بل كل حين اتبعوا الخير

بعضكم لبعض وللجميع. افرحوا كل حين. صلوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شيء. لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم. لا تطفئوا الروح. لا تحتقروا النبوات. امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شر. وإله السلام نفسه يقدّسكم بالتمام، ولتُحفظْ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح. أمينٌ هو الذي يدعوكم، الذي سيفعل أيضاً» (أف ٤: ١٤ــ٣٢، ٥: ٢١ و١تس ٥: ١٥ــ٢٤).

ونحن نجد أن اهتمام بولس الرسول بسرد قائمة هذه الخطايا بكل تدقيق وكل وضوح وفهم، لا ينبغي أن يعبر عليه القارىء بخفة، كمجرد قراءة، فهذه هي جذور الهلاك التي توطّنت في النفس وتسببت في موت كثيرين، وبرودة كثيرين، وانصداد الكثيرين عن الصلاة وعن حب الكلمة والقراءة.

لينظر كل واحد فينا أي جذر من هذه الجذور تتغذى عليه نفسه، لأن ذلك يكون حتماً هو علة مرضه وتلف ضميره والسبب المباشر لضعف إرادته، لأن كل خطيئة من هذه الخطايا كفيلة أن تُحزن الروح القدس أو تطفئه داخل القلب، فيقطع عن القلب ــ إن آجلاً أو عاجلاً ــ موارد حرارة الحب والنور والحق!

والمطلوب الآن كعمل سريع أو كإسعاف أوّلي أن نقف طويلاً أمام أي خطية يكون قد ترى لها خلسة سلطان على الفكر أو الجسد، وبصراخ شديد ودموع توسل لدى الروح القدس نطلب مزيداً من حساسية الضمير ضد هذه الخطية، لأن ذلك هو بمثابة أقل ترضية للروح القدس، حتى يلتهب مرة أخرى ويشعل القلب بحرارة الحب الإلهي ونور الحق، فنستطيع أن نقف ضد سلطان الخطية التي أحببناها وملّكناها على القلب برغم وجود الروح القدس!!

هنا يلزمنا أن نفهم جيداً أن الروح القدس هو صديق حقيقي ــ وقت الشدة والضيق والمذلة ــ لأن الصديق الحقيقي هو من يحزن لسقطة الإنسان وتدانيه في الأعمال المهينة، والروح القدس أشد من يحزن على ضياع خلاص الإنسان، ولكنه

ليس صديقاً يحزن وحسب، بل هو معين قوي جداً يستطيع أن يمسك بيد الإنسان ويقيمه من كل سقطة، بل ومن أعماق الموت، ويغسله بدم المسيح، ويرفع عنه عار أشنع الخطايا، ويقدمه للمسيح كإبن أو كجذوة منتشلة من النار، لأنه خالق ومحيي.

والروح القدس بقدر ما تُحزنه أصغر الخطايا وتطفئه أقل حماقة، فهو أيضاً تسترضيه أقل أعمال التوبة وأصغر أنواع الجهادات، إذا قُدّمت بثقة كاملة فيه، مع إخلاص نية وصدق ضمير وانفتاح شجاع لتقبُّل عمله وتعزيته.

والروح القدس وديع حقاً ولطيف غاية اللطف، يحتمل كل جهالات الإنسان بأكثر مما يفتكر الإنسان. فهو يبقى على إخلاصه وحبه وتودده للإنسان، حتى ولو أحزنّاه سبعين مرة سبع مرات كل يوم. لأن العودة إليه ـــ بتوبة ودموع ونية صادقة ـــ تسترضيه غاية الرضى. وهو ـــ على طول المدى ـــ لا يجمع لنا رصيد تعديات بل يجمع لنا رصيداً من الترضيات، يحفظ لنا كل أعمال الندامة والتوبة ولا يحفظ لنا شيئاً من أعمال قساوة القلب والجهالة عندما نعود إليه، لأنه وديع ومتواضع القلب حقاً يأخذ مما للمسيح ويعطينا (راجع يو١٦: ١٤، ١٥).

قائمة بكتابات الأب متى المسكين

□

حياة الصلاة الأرثوذكسية — تحت الطبع
الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار
الإفخارستيا والقداس
القديس أثناسيوس الرسولي
أعياد الظهور الإلهي
الصوم الأربعيني المقدس
مع المسيح في آلامه حتى الصليب
القيامة والصعود
الروح القدس الرب المحيي (جزءان)
لمحة سريعة عن دير القديس أنبا مقار
الخدمة (٣ أجزاء معاً)
كيف تقرأ الكتاب المقدس
توجيهات في الصلاة
في التدبير الروحي
المسيحي في المجتمع
المسيحي في الأسرة
التقليد وأهميته
الصليب المقدس
العذراء القديسة مريم ثيئوتوكس
التسبحة اليومية ومزامير السواعي
القيامة والخليقة الجديدة

القيامة والرجاء الحي

العنصـــرة

البارا كليت

المواهب الكنسية

رسالتان في عيدي الصعود والعنصرة

الروح القدس وعمله داخل النفس

مع الروح القدس في جهادنا اليومي

يوم الخمسين في التقليد الآبائي

صوم الرسل ومكانته الروحية في الكنيســة

الروح القدس وصوم الرسل

العذراء في اللاهوت الكنسي وبحث تاريخي عن صوم العذراء

الشهادة والشهداء

لقد وجدنا يسوع

العمل الروحي

كلمة الله

التوبـــة

التبرير بين الماضي والحاضر

التوبة والنسك في الإنجيل

حبة الحنطة

حاجتنا إلى المسيح

تغيروا عن شكلكم

الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل

الكنيسة الخالدة

الإيمان بالمسيح

القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي

رسائل القديس أنطونيوس
مقالات بين السياسة والدين
الوحدة المسيحية
الوحدة الحقيقية ستكون إلهاماً للعالم
قصص مسيحية للحياة (في مجلد واحد)
سفراء من العالم الآخر
في زقاق المسيحيين
قصة استشهاد الرسولين بطرس و بولس
النيروز وذكرى أيام الشهداء
أيقونة جميلة
قصة استشهاد مؤثرة للغاية
قصة طهارة واستشهاد بارع
القديس فوكا البستاني
فلسفة الموت عند شهداء مصر
ألوجيوس والمقعد الرذيل
المحارب العجوز
تاييس امرأة الأساطير
القديسة ميلانية العجيبة
صلاة فلاح
إتباع المسيح وبهرجة الفلسفات
ملكوت الله
المرأة «حقوقها وواجباتها في الحياة الإجتماعية والدينية في الكنيسة الأولى»
رأي في تحديد النسل
الكشف الأثري عن رفات يوحنا المعمدان
قصة الإنسان (حول الخطية والخلاص)
رسائل روحية

مع الروح القدس في جهادنا اليومي

- ينبغي أن نلتفت جداً إلى أساس جهادنا الروحي ضد الجسد والخطيئة والعالم، لأن أي جهاد لا يقوم على الإيمان الصحيح لا يفيد شيئاً.
- فأول كل شيء ينبغي أن نثق تماماً أن المسيح لا يعمل فينا بدون الروح القدس، والروح القدس لا يعمل فينا بدون المسيح، ونحن بدورنا يستحيل أن نعمل شيئاً بدون المسيح والروح القدس.
- فالروح القدس يأخذ من المسيح ويعطينا، أي أن الروح القدس لا يعطينا من ذاته شيئاً مباشرة، ولكن قدرته الفائقة والعجيبة جداً تنحصر في أنه يستطيع أن يأخذ كل ما للمسيح ويعطينا، لأن كل ما عمله وأكمله المسيح في حياته فهو لنا.

الثمن ٧٥ قرشاً